

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين أجمعين





الحمد لله على قضائِه حمدًا كثيرًا، له ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإن الله وعد الصابرين أن يوفيَهم أجورَهم بغير حسابٍ، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قال الأوزاعي رحمه الله: «ليس يُوزَنُ لهم، ولا يُكالُ؛ إنَّما يُغرَفُ لهم غَرْفًا».

وإني أَحسب -ولا أزكّي على الله أحدًا- أنَّ أُختي الكريمةَ الغاليةَ نُورةَ بنتَ عبدِ المُحسن البدر -وهي مواليد مدينة الزلفي، في اليوم الثالث من شهر شعبان عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف-؛ من المؤمنات الصَّابرات المحتسبات الراجيات ما عند الله ﷻ، وما عنده سبحان خير وأبقى.



لقد بَدَأَتْها شدائدُ الأمراضِ وآلامُ الأَسقامِ منذُ أكثر مِن عِشرينَ عامًا، حيثُ ابتُلِيَتْ طوالَ هذه المدَّةِ بالأَورامِ السَّرطانيَّةِ؛ تتنقِلُ في جَسَدِها؛ كُلَّما عالجتْ مَوْطِنًا بالعِلاجات الكيماوية المُهلِكةِ وشُفِيَتْ منه؛ انتقلَ الىٰ آخر، حتَّىٰ كان آخرَ ذلك في أَيَّامها الأخيرةِ انتشرَ في رَأْسِها انتشارًا لم يكنْ عند الأطبَّاءِ فيه حِيلةٌ ولا طِبٌّ؛ إلَّا صرفَ مُسَكِّناتٍ تخفِّف مِن شدَّة الأَلم، وتُسَكِّن شيئًا من الوجَعِ، وهي طوال هذه المدةِ صابرةٌ مُحتسبةٌ غيرُ جازِعةٍ ولا مُتَسَخِّطةٍ.

۞ **ومِن عَجيبِ أَمرِها**: أنَّها تُسَلِّي مَن يأتي يُواسِيها، وتُؤنِسُ من يَأْلَمُ لِحالِها ويعطِفُ عليها، أَحْسبُ أنَّ عندها يقينًا عظيمًا بالله، وثقةً بوعْدِه لِمَن أمَّلَه ورَجاه.

۞ رأتْ إِحْدَىٰ بناتِها -في أَيَّامها الأخيرةِ وفي ذِروَةِ أَوجاعِها- متألِّمةً فقالت: «**إنَّ المُؤمنَ أمرُه كلُّه خيرٌ**».

وتقول مُسَلِّيةً مَن عندها: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**حتَّىٰ الشَّوكةَ يُشاكُها إلَّا كفَّر الله بِها من خَطاياه**».

۞ سَمِعَتْها إحدىٰ بناتِها في اشْتِدادِ مَرَضِها -وهي تفيق وتغيب- تقرأُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢]، ثُمَّ غابتْ وَقتًا، ثُمَّ أفاقت ثم أكملتِ الآيةَ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، تُرَدِّدُها.



۞ كانت رحمها الله كثيرةَ الحَمدِ والثَّناءِ على الله تبارك وتعالى، وسؤالِه حُسنَ الخِتامِ، وأنْ يتوفَّاها وهو راضٍ عنها.

۞ روى أبو داود في «سننه» وأحمد في «مسنده» عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «**إِذا سَبقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلاهُ اللهُ في جَسَدِهِ أَو في مالِهِ أَو في وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرهُ حَتَّى يُبلِغَهُ المَنزِلَةَ التي سَبقَتْ لَهُ مِنهُ**»، وإنِّي لأرجو الله الكريمَ أن يكونَ لها عندَه سابقةُ مَنزلةٍ عليَّةٍ رفيعةٍ في جنَّات النَّعيم.

۞ كانت بأبويها برَّةً، وإليهما مُحسنةً، ولهما واصلةً، تتعاهدهما بالزيارةِ، حتى في شدَّة المرض، وإلَّا فبالمُهاتفةِ والاتِّصال؛ تسأل عن حالِهما، وتُتابعُ شأن صِحَّتِهما، وتُوصِي إِخوانَها وأَخواتِها بهما، وتتمنَّى أن لو كانت قريبةً منهما.

۞ **ومِن بِرِّها بهما**: أنَّها أَوْصَتْ أن تُنقَلَ بعدَ الوفاةِ إلى المدينةِ يُصَلَّى عليها هناكَ؛ لِئَلَّا تُكَلِّفَ عليهما عندَ وَفاتِها سَفَرًا للصَّلاةِ عليها -تعلمْ أنَّهما لا يتركانِه مع مَشَقَّةِ ذلك عليهما-، وقَد يَسَّر الله تبارك وتعالى لها ما أرادتْ، وتيسَّر أمرُ نقلِها تَيسُّرًا عَجِيبًا؛ حيثُ كانت وفاتَها بعد العصرِ وصُلِّي عليها في المسجدِ النَّبويِّ بعد الفجرِ، وشُيِّعَتْ إلى مَثواها -مثوى الخيرِ والرحمةِ والإحسانِ والرضوانِ بإذن الله- في جُمُوعٍ غَفيرةٍ مِن شُهداء الله في أرضِه، وكان أَوَّلُ المُشَيِّعين لها والدُها،

دنىٰ مِن قبرِها محمولًا علىٰ كُرسِيِّه، وشارك في دَفنِها، ثُمَّ أقبَلَ علىٰ الله ﷻ بعدَ دَفْنِها بالدُّعاءِ لها بالمَغفرةِ والرَّحمةِ والثَّباتِ.

۞ وعند وُصُولها المدينةَ في منتصف الليل أخذناها إلىٰ منزلِ أبويها، وأبقيناها فيه ساعةً مِنَ الزمان، لتقبِيلها وتَودِيعها والنَّظرِ إليها نظرةَ الوداعِ؛ المَتبُوعِ بإذن الله بلقاءٍ واجتماعٍ في أعلىٰ الفِردوس؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الطور: ٢١].

۞ كنتُ عِندَها وقتَ الوفاة؛ علىٰ إِثْرِ وفاتِها مباشرةً؛ ابيضَّ وجهُها وأضاءَ، وعلاهُ ابتسامةٌ جميلةٌ، وإشراقةٌ عجيبةٌ، لمَّا تراهُ تَعْجَبُ؛ وكأنَّه ما مَرَّ عليه تَعَبٌ ولا نَصَبٌ ولا شِدَّةٌ، وأَحْسبُ أنَّ هذا من أثر البشارةِ لأهلِ الإيمانِ؛ حين تتنزَّلُ الملائكةُ عليهم السلام عليهم عند الموتِ ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾، قال غيرُ واحدٍ من المفسرين: «هذا عند الموت».

۞ وفي حديث البراء رضي الله عنه الطويل: أنَّ الملائكةَ تقولُ لروحِ المؤمن: «**اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، ورَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيرِ غَضْبانَ**».

۞ **ومن اللطائفِ**: أنَّ الوالدَ حفظه الله كثيرًا ما يُداعِبُها في كِبرِها؛ يقول: «اقرئي علينا سورةَ الفَجر»؛ ذلك أنَّها لمَّا ـ كانت طفلةً صغيرةً



كانت تقرأُ خاتِمَتَها هكذا: (وادْخلِي في عِبادي وادْخلي دَنَّتي)، وأرجو الله الكريمَ رَبَّ العَرشِ العَظيمِ، ذا المَنِّ الواسِعِ والعَطاءِ الجَزيلِ أن يُحَقِّقَ لها هذا الذي تلتْهُ مِن كلامِهِ صغيرةً وكَبيرةً؛ راجِيةً رحمةَ رَبِّها، طامِعةً في نَواله.

۞ لم يتيسَّر لها في صغرها الالتحاقُ بالدراسة النظاميَّة وإنَّما درستْ في الكتاتيبِ، وتعلمتْ فيها القراءةَ والكتابةَ، وأخذت في صغرِها حظًّا ونصيبًا من القرآن، قراءةً وحِفظًا، وكانت مُعلِّمةً لي؛ تعلَّمْتُ على يديها الكتابةَ والقِراءةَ؛ فكانت تضَعُ لي نُقُطًا أَمُرُّ عليها بقَلمي؛ لأتعلمَ كتابةَ الحروف والكلمات، ثُمَّ لم أَزلْ متعلِّمًا منها مُستفيدًا مِن حِنْكَتِها وعَقْلِها، وكنتُ كثيرًا ما أقول لها: «أنتِ أُستاذِي ومُعلِّمي الأوَّل»، وأما عنايتُها بأبنائها تعليمًا وتربيةً فشَيءٌ عَجَبٌ.

۞ كان بيني وبينها تشاورٌ وتناصحٌ وتذاكرٌ، تفضي إلي بهُمُومِها وتُشاورني في خَواصِّ أُمورِها، لا ننقطِعُ عن التَّواصلِ، وكُلَّما ذهبتُ إلى الرِّياض لمصلحةٍ أو حاجةٍ أَتيتُها، لا أنامُ هناك إلَّا في بيتِها، وأقولُ لها دائمًا بيتك عندي عُمدةٌ ورُكنٌ لا يمكنُ أن آتي الرِّياضَ ولا آتيه.

۞ لقد ماتتْ قبل أبويها، قالت الوالدةُ حَفِظَهَاٱللَّهُ لمَّا بلغَها نبأُ الوفاةِ: «سبقَتني ابنتي».

لكنَّها فازتْ -إي والله- بدُعائِهما وإِلحاحِهما علىٰ الله ﷻ أن تنالَ الرضوان، وأن تفوزَ بالغُفران، وأن تكونَ في أعالي الجِنان، ودَعوةُ الوالدِ لوَلَدِه مستجابةٌ، فهنيئًا لها، ثُمَّ هنيئًا هذا الخير والفَضْل والإِنعام.

۞ وأشهدُ أنَّها ماتتْ وهما عنها راضِيان، ولها مُحبَّان، وعليها مُشفِقان، وهما لها بعد موتِها داعيان.

۞ كانت الوالدةُ حريصةً علىٰ زيارتها في اشتدادِ مرضِها، وكانت أختي تقول: «اجتهدوا في صَرْفِها عن ذلك»؛ شفقةً منها علىٰ الوالدةِ؛ أن تَراها وهي في تلكَ الشِّدَّة العظيمةِ، والكَربِ الشَّديدِ، بل إنَّها لم تأذن عندَ اشتدادِ المَرضِ أن يدخُلَ عليها إلا أبناؤُها وبناتُها دون الأحفادِ، وزَوجُها، وأَخُوها عبدُ الرَّزَّاق.

۞ كانت إحدىٰ بناتها -إحسانًا منها- تُذَكِّرها بالعفوِ عن النَّاس وثواب العافين العظيمَ عند الله ﷻ، وكانت تستمع وهي تفيق وتغيب، ثم غابت وأفاقت وهي تقول: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ زادها الله بهذا العفو عِزًّا ورِفعةً عنده.

۞ كنتُ في الأسابيعِ الأخيرةِ أتعاهَدُها بالزِّيارة فلم أَرَها مهتمةً بشيءٍ يشغَلُ بالها غيرَ أولادِها -أصلحَهُم اللهُ وبارك فيهم ورزَقَهم برَّها وهي ميتة كما رزَقَهم برَّها وهي حيَّة بل أكثر- وربَّما خلتْ بي مرَّات في اشتدادِ مرضها تستشيرُ وتستنصحُ وتُوصي بهم، لهم في



قلبِها حبٌّ عجيبٌ، ومكانةٌ كبيرةٌ، واهتمامٌ بالغٌ، وأحسبُ أنَّهم -زادهم الله توفيقًا- علىٰ قدرٍ كبيرٍ من البر والإحسان.

۞ قلتُ لها مرَّة في اشتدادِ مرضها وأَنا أرىٰ العِناية العظيمةَ مِن بناتها بها: «هنيئًا لك ما شاء الله هالبنات»، فقالت: «والأولاد؟! الحَمدُ لله كُلُّهم خيرٌ وفَضلٌ».

۞ واظبتْ كثيرًا في أواخر أيامها علىٰ التَّهليلات الخمسِ الواردةِ في الحديث الذي رواه ابن ماجه في «سننه» عن الأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ شَهِدَ علىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»، قَالَ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا اللهُ أَكْبَرُ». وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ»، قَالَ: «صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي». وَإِذَا قَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ»، قَالَ: «صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ شَرِيكَ لِي». وَإِذَا قَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ»، قَالَ: «صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، لِيَ الْمُلْكُ، وَلِيَ الْحَمْدُ». وَإِذَا قَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ»، قَالَ: «صَدَقَ عَبْدِي؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي».

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».



ورواه الترمذي في «باب ما يقول العبد إذا مرض»، ولفظه: «**كان يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ**».

ورواه النسائي وزاد: «**يَعْقِدُهُنَّ خَمْسًا بِأَصَابِعِهِ**»، **وقال في رواية:** «**يُصَدِّقُ اللهُ الْعَبْدَ بِخَمْسٍ يَقُولُهُنَّ**» وذكرهن.

۞ قال المُباركفوري رحمه الله في «المِرعاة»: «**وفي الحديث**: دليلٌ علىٰ أن هذه الكلمات المذكورة في الحديث إذا قالها العبد في مرضِه وماتَ في ذلك المرضِ علىٰ تلك الكلمات -أي: كانت خاتمةَ كلامِه الذي يتكلَّمُ به عاقلًا مُختارًا- لم تَمَسَّه النارُ، ولم يضرّهُ ما تقدَّم مِنَ المعاصي، وأنها تكفِّر جميعَ الذنوب».

۞ وكنتُ بعثتُ لها في وقتٍ سبقَ مقالًا لي بعنوان: «خمسٌ مَن رُزِقَهنَّ عند موتِه لم تمسَّهُ النَّار»؛ فعَظُمَتْ عنايتُها بهذه الكلمات، وأكثَرَتْ منها في أيامِها الأخيرةِ، وكانت هذه الكلماتُ ممَّا خُتِمَ لها به.

۞ **آخرُ ما سُمِعَ منها**: «يا ربِّ...»! ولم يُسْمَعْ ما سَألتْ، وأَرجو أن يكونَ مُدَّخرًا عظيمًا لها عند الكريمِ الوَاهبِ المُحسنِ المنَّان.

اللهمَّ اغفِر لها، وارفع درجتها، وافسح في قبرها، ونوِّر لها فيه، واخلفها في أهلها في الغابرين، واكتبها عندك في المحسنين، واجعل كتابها في عليين، ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها، واجمعنا بها ووالدينا في الفردوس الأعلىٰ.



۞ وقد طلبتْ مِن أولادِها الأوفياءِ -بنين وبنات- أن يكتبوا شيئًا عن حياتِها وسِيرتِها ومَرضِها ومُعاناتِها وصَبْرِها، وما شاهدوه مِن عجائبِ أحوالها فكتبوا:

«الحمدُ لله الذي جعلَ الموتَ والحياة ابتلاءً؛ فقال في محكمِ التنزيل: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾.

الحمدُ لله الذي أجزلَ علىٰ عبادِه بالتَّثبيتِ والتصبُّرِ، فجعلَ المصائبَ بوَّابةً للأجرِ والغفرانِ، وفي البلاءِ رفعةً للدرجات، كما قال رسول اللهِ ﷺ: «**إن عِظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمَن رَضِي فله الرِّضا، ومن سَخِطَ فله السخط**».

ثمَّ الصَّلاة علىٰ النبيِّ المصطفىٰ؛ الذي عاشَ يتيمًا، ودفنَ بُنيَّاته، ورأىٰ مصرعَ أحبابِه، ولقيَ من البلاءِ ما لقي... فصبرَ لله وما انثنَىٰ! وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمّا بَعــد:

۞ فبقلوبٍ مؤمنةٍ راضيةٍ بقضاءِ الله وقدرِه، ودَّعنا فقيدتَنا الغاليةَ ووالدتَنا الكريمةَ نورة بنت عبد المحسن البدر، التي انتقلت إلىٰ جوار اللهِ العظيم، بعد حياةٍ ملأىٰ بالصَّبر والرِّضا، وقلبٍ مؤمنٍ بقضاء الله وقدره.

تاركةً في أفئدةِ أحبابها فراغًا لا يُسَدُّ، وجُرحًا لا يندَمِلُ ... وكيف لا تَسِحُّ المآقِي وهي المُحْسِنةُ في أُمومتِها، البارَّةُ في بُنوَّتِها، العَطوفةُ في أُخوَّتِها، التاركةُ في كُلِّ قَلبٍ أثرًا لا يخبُوا ذِكراه؟!

❁ عزاؤُنا؛ أنّها قدَّمتْ سيرةً عطرةً، ورَحَلَتْ إلىٰ مَن هو أرحمُ بها مِنّا؛ إلىٰ الشاكر الذي يَجزي عباده الصالحين، إلىٰ الذي قال في كتابه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف:٣٠].

❁ نكتبُ هذه الكلمات بظنٍّ حَسَنٍ بالله ﷻ، ولا نزكِّيها عليه ﷻ، نخطُّ أَحرُفَها وَفاءً لا ضَعْفًا، وحِفظًا لذِكْرىٰ لا حُزنًا، وأَثرًا نافِعًا مُباركًا لها، واسْتحضارًا لسِيرتها الطيّبة...ورجاء أن تكونَ في ميزانِ حَسَناتها، فعسىٰ أن يتغمَّدَها الرَّحمن برحمته، وأن يجعلَ ما أصابَها سببًا لرَفعِ درجاتها عنده، وأن يجمعنا بها في مستقرِّ رحمته.

❁ عرفناها صابرةً حامدةً.

❁ ابتُلِيَت في مطلع عام (١٤٢٥هـ)، فأنزل الله ﷻ عليها برحمته الصبرَ والثباتَ والتَّوكُّلَ الصادقِ عليه ﷻ...وتجلَّىٰ ذلك في كلماتها؛ كان مرضُها في مرحلتِه الرابعةِ، وهي الأشدُّ خطورةً، وقدَّر الأطباءُ ألَّا يتجاوزَ ما بقيَ مِن عُمرها ستَّة أشهر؛ وعلىٰ الرغم من ذلك، كانت رحمها الله تسعىٰ في كلِّ سَبَبٍ مَشروعٍ، بينَ علاجٍ طِبيٍّ بأنواعِه، ورُقىً شرعيةٍ، وصَدقاتٍ خَفِيةٍ، وإلحاحٍ في الدعاء...



كان يقينُها بالشفاءِ لا يتزعزع، وحسنُ ظنِّها بالله لا ينقطع! وفي كُلِّ مَوْعِدٍ جديدٍ مع العلاجِ، كانت ترَدِّدُ بثباتٍ وصبر: «اللهُ ينفعُ بالأسبابِ، ولا نتَّكلُ إلا على الله الكريم».

۞ أتمَّتْ صيامَ شهر رمضانَ، وحرصَتْ على قضاءِ أيام فِطرِها فيه مع العلاجِ، واتبعَتْها بستٍّ من شوال، مع محاوَلاتنا ثَنْيها عن ذلك؛ لشدَّةِ تعبها ونَصَبِها مع المرضِ، فكانتْ ترفُضُ النِّقاشَ في ذلك، وتنهي الحديثَ مُباشرةً.

دخلت المستشفى في (١٧ شوال) إلى أنْ فاضَتْ رُوحُها في يوم السبت (٤ من ذي الحِجَّة).

الله ﷻ يغفرُ، لها ويرحُمها، ويعلي ذِكرَها، ويجعل ما أصابَها تمحيصًا ورفعةً لدرجاتها، ويسكنها الفردوس الأعلى من الجنة بغير حسابٍ، ولا سابقِ عذاب.

۞ وفي هذه الأشهرِ الثلاثةِ الأخيرة مِن عُمرها، اشتدَّ عليها المرضُ، وبلغَ منها مبلغًا عظيمًا... لكنَّها كانت مِثالًا في الصبرِ والثَّباتِ، لم تُبدِ شَكوى، ولم يُسمَع لها أنينٌ...

۞ كنا نقرأُ الكربَ في ملامِحِ وَجْهِها، حين تلتفِتُ يمنةً ويَسرةً، وتنظرُ إلى السَّماء، كأنَّها تُناجي ربَّها.. وتَبُثُّ إليه شكواها، فلم تكنْ تطلُبُ مِنَّا شيئًا؛ قلبُها معلَّقٌ بالله ﷻ، حتَّى الطَّبيب كان يوصِينا لفَهْمِ

تعبيرات وَجْهِها؛ لفَهْمِ حاجَتِها إلىٰ المُسَكِّنات؛ لأنَّها وإنْ توجَّعَتْ فلا تتحدَّث!

۞وعندما يشتدُّ بها الألمُ، تنبِضُ أُمُومتُها، وتتركُ نَفْسَها؛ لتخفِّفَ علينا مِنَ الحُزنِ، فتذكِّرُنا حينًا بكلمات المصطفىٰ ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه في الغار: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

وحينًا تردِّد حديثَ: «**عَجَبًا لأمرِ المُؤمنِ...**»، وتواسِي نفسَها ومَن حولها بالقرآن.

فإذا نزلَ الكَربُ؛ رَفَعَتْ سبابتَها وقالت مردِّدةً بتدبُّرٍ يُلامِسُ القُلوبَ ويُحيِيها: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

۞ وعندما نسألها عن حالِها تقول:«أمرُ المُسْلِمِ كُلُّه خيرٌ!»، «**حتىٰ الشَّوكة يُشاكُها يكفِّرُ الله بها من خطاياها**»، فكيف وضعي بهذا المرضِ والألمِ؟!»

۞ أحيانًا يكون البلاءُ عند اشتدادِه علىٰ العبدِ صارفًا له عن ذكر الله، وعن ذكر عهدِه إليه بالفَرَجِ وإجابةِ الدعاء؛ لعظم مَساسِ الشَّيطان به، فكنتُ أذكِّرُها: «كم مرَّ بك مِن كَربٍ وأنجاكِ الله منه برحمته وفضلِه؟» فتُعَدِّدُها معي بنفْسٍ مُنشَرِحَةٍ.

۞ وذاتَ مرَّةٍ وهي في العنايةِ، ذكَّرناها بما علَّمتنا مِنَ التَّوكل علىٰ الله، فأجابتنا بصوتِها المُرهَقِ، مطمئنةَ القلب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.



۞ ولطالما دُهِشَ الأطباء مِن صَبرِها؛ فلا تشتكي إلَّا مِن إجهادٍ، وقلة نوم فيقولون لها: «ما شاء الله عليكِ، صبورة يا نُورة».

حتىٰ المُمَرِّضات في المستشفىٰ عندما يكون في تعاملِ بعضِهِنَّ شيءٌ مِنَ الشِّدّة تقولُ: «بِشْوِيش عليَّ تراني تعبانة ومريضة»؛ أَسَرَّتْهُم بتعامُلها وثَباتها، ولم تتبرَّم وتردَّد: «أحسُّ أني أشغلتُهم يا بنيَّتي!»، وأردُّ عليها: «هذا عملُهُم وواجِبُهُم».

۞ قالت إحداهُنَّ: «منذُ متىٰ المَرضُ معها؟»، فلم أُجِبْها بشيءٍ وكانت الوالدةُ مغمضةً عينيها فأشارت بأصبعين! قالت المُمَرِّضة: «سنتين؟!» قالت الوالدةُ: «لا؛ عشرين».

۞ عرفناها الظِّلَّ الحاني في المِحَن؛ ولطالما دُهِشْنا مِن حَنانِها في غَمرة الأَلم! حتَّىٰ وهي علىٰ سريرِ المرض؛ كانت ترانا بعَينِ الأُمِّ، ودِفءِ القلب، تُربِّت علىٰ رُؤُوسِنا، وتَضُمُّ مَن احتاجَ الطّمأنينة، تَبثُّ فينا السَّكينةَ، وتَشُدُّ مِن أَزرِنا...

وفي ليلةٍ من ليالي الصَّبر، رأت أحدُهم يواري دمعتَه في وداعِه لها، فلم تغفُ عينُها حتَّىٰ الفجرَ، وقالت: «بشِّروا فلانًا أني بخيرٍ وطَيِّبة!».

۞ وحين دخلت إحدىٰ بناتها تدافِعُ دمعَها مِن خوفِها وقلقِها عليها، قالتْ لها بصوتها المَبحُوحِ بعد نزعِ قِناعِ الأُوكسجين: «يا بُنيَّتي، **أَمرُ المُؤمنِ كُلُّه خَيرٌ**»!.

۞ منعت زيارةَ الأحفادِ وأقاربَها مع شدَّة شوقِها لهم وسُؤالِها عنهم؛ وتعللُ ذلك: «ما ودّي تضيقُ صُدُورهم عَليَّ، ولا أُحِبُّ يشوفوني بهالضَّعفِ!».

۞ عرفناها متعلقةً بالله وكلامه! أقعدَها المَرضُ، ولكنَّها لم تفتُرُ عن ذكرِ الله ﷻ، فكان ديدَنهُا: التَّسبيح، والتحميد، وتكرِّرُ بيقين: «الحمد لله، حمدَ الذاكرين الشاكرين».

۞ ومع اشتداد المرض آخر حياتها قلَّ كلامُها، وأَضْحَتْ إمَّا داعيةُ أو ذاكرةُ لله ﷻ...

۞ وكانت تطلبُ منَّا تلاوةَ آياتِ السَّكينةِ، وتذكيرِها بأدعيةِ الكَربِ، والتَّهليلات.

۞ **ذات مرَّةٍ**: كانت إحدىٰ بناتها تتلوا عليها القرآن، فاستفاقتْ وأزالتْ عنها قناعَ الأوكسجين، وطلبتْ أن تقرأ معها الآيات.

۞ **وفي ليلة أخرىٰ**: سألتْ عن الوقتِ؛ فأخبرناها أنَّنا في الثُّلُثِ الأخيرِ من اللَّيلِ؛ وقتَ الدُّعاء والاستغفار، فسألتْ عن اتِّجاه القبلةِ، ووجَّهتْ بصرَها نحوَها، ثُمَّ أغمضت عينيها... فاللهُ أَرحمُ بها منَّا، وهو أعلمُ بما في قلبِها، وهو ﷻ قريبٌ سميعٌ مُجيبٌ.

۞ بعد إفاقتها وهيَ في العناية المركزة، سألتْ متلهِّفةً عن الوقتِ وكيفيَّة معرفة الصَّلوات؛ إذ لا ضوءَ هنالك ولا ساعة..

۞ عرفناها قلبًا نقيًّا، وخُلُقًا نديًّا! ألِفناها ساعِيةً في الخيرِ، تُقاسِمُ الفقراءَ مِن قُوت بيتها، وتحافظُ علىٰ حلقاتِ الذِّكر رغمَ تَعَبِها، وتحرصُ علىٰ صلةِ صُحبةِ أهلِ القرآن، وتصِلُ أرحامَها، وكان لها أثرٌ مُباركٌ في استحداث اجتماعٍ للعائلةِ، وتُكْرِمُ كبارَ السِّنِّ من أقاربها وأقارب أبنائها..

۞ **مرَّة في اجتماعٍ عائليٍّ**؛ عندَ احتساءِ القهوةِ، آثرتْ عيادةَ المريض بذلك، فأعطتْ ابنَها القهوةَ وأمرتْه بالذَّهابِ إلىٰ عمِّه -غفر الله له- وزيارتِه بالمستشفىٰ وتناولِ القهوة معه، قائلةً: «خُذِ القهوةَ عندَه، ولا تجلس عندي!».

۞ قُبيلَ وفاتها بثلاثةِ أيَّام أصابتْها حمَّىٰ شديدةً أرهقتْهَا عن الكلامِ والحركةِ؛ فكنَّا نضَعُ لها الكمَّادات، ونُحاوِلُ تَسْكينَ أَلِمِها، فرفَعَتْ رأسَها بصعوبةٍ، وقالت بصوتٍ مُتعبٍ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾!، ثُمَّ أسندَتْ رأسَها، وأَغمضَتْ عينَيها.

نسأل الله أن يرفع منزلتها ويعلي مكانتها ويثيبها خير ما أثاب به عباده الصابرين المحتسبين ويسكنها الفردوس الأعلىٰ من الجنة بغير حساب ولا سابق عذاب، ولولا اليقينُ باجتماعٍ ثانٍ لتفطَّرتْ المرائرُ، ولكنَّنا نرجو البرَّ الرحيم، أن يمطر علىٰ قبر فقيدتنا من شآبيب عفوه وغفرانه، وأن يجمعنا بها في مستقرّ رحمته.. وهو الوهّابُ الرّحيم)) اهـ.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.